المعجزة الخالدة للرسالة الخالدة

على صاحبها أطيب الصلوات وأزكى التسليمات

د.محمد قمر على زيدى☆

إن مادة "ع ج ز" تدل على "الضعف"(١)والإفعال منها "الاعجاز"

قال الزهري : قلت : ومعنى الإعجاز : الفوت و السبق ، يقال : أعجزنى فلان [أي : فاتني ، وقال الليث : أعجزنى فلان]إذا عجزت عن طلبه و إدراكه "(٢)

وقال :".....و أما الإعجاز فهو الفوت ، و منه قول الأعشى:

فذاك و لم يعجز من الموت ربه و لكن أتاه الموت لا يتألق(٣)

و فى القاموس: و أعجزه الشئى : فانه ، و فلانا : وجده عاجزا، و صيره عاجزا ، و التعجيز: التثبيط ، والنسبة إلى العجز، و معجزة النبى صلى الله عليه وسلم ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة"(٤)

ومن هنا يفهم أن إعجاز القرآن العظيم هو حيث عجز جميع الناس عن الإتيان بمثله . ثم اختلف الناس من القديم في وجوه إعجازه ، وقد ظهر هذا الا ختلاف عندما "ظهر علم الكلام مع ظهور المعتزلة . وبدأ فيه الكلام على مسألة الإعجاز كما ظهر في القرن الثالث من الهجرة. فقد ألف فيه كتاب [الدين و الدولة]في الدفاع عن الاسلام و إثبات النبوة للرسول العربى ﷺ ، ومؤلفه هو على ابن زين الطبرى (٥)مولى المتوكل (٢٣٢-٢٤٧ هـ) أورد فيه براهين على نبوة رسول الله ﷺ ، و اختص الباب السابع منه للقول بأن القرء ان هو معجزة النبوة.....(٦)

.....

☆ الاستاذ المساعد، بقسم اللغة العربية، جامعه بنجاب

وقد تكلم في هذه المسألة أبو الحسن العشري (٣٢٤هـ) و ضاعت أكثر كتبه ولم يصل إلينا منها إلا كتاب "مقالات الإسلاميين".

ومن أشهر المتكلمين الذين بحثوا مسألة الإعجاز ، محمد بن يزيد الواسطي (٣٠٦هـ)وعلى بن عيسى الرماني (٣٤٨٤هـ) له كتاب "النكت في إعجازالقرآن "(٧) و هو رسالة صغيرة و هي في الأصل جواب عن سؤال وجه [للمؤلف عن ذكرالنكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج، و هذا الجواب يتلخص في أن وجوه الإعجاز تظهر من سبع جهات: تركب المعارضة مع توافر الدواعي و شدة الحاجة، والتعدي للكافة ، والصرفة، والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجز]و أحمد بن محمد الخطابى (٣٨٨هـ) صاحب كتاب "بيان إعجاز القرآن"(٨) [قال فيه: إنما ها ء القرآن معجز و أنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني من توحيد و تحليل و تحريم .....إلخ و معلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور و الجمع بين أشتاتها حتى تنتظم و تتسق ،وأ مرتعجز عنه قوى البشر ...] و أبو بكر محمد الباقلانى (٤٠٣هـ)، له كتاب "إعجاز القرآن" (٩) الشهير و محمد يحي بن سراقة (٣١٠هـ) و الشريف المرتضى (٤٣٦هـ) وممن جعلوها جزء ا من كتبهم التي و صلت إلينا ابن حزم (٤٥٦هـ) في كتابه "الفصل في الملل و الأهواء والنحل "(١٠) والإمام الغزالي (٥٠٥هـ) في كتابه "الا قتصاد في الا عتقاد" والقاضي عياض (٥٤٤هـ) في كتابه " الشفاء"

و تأريخ هذه المسألة والذين تكلموا فيها فألفوا و دونوا طويل ، لا تصلح مجل هذه العجالة أن تحيط بذكر أسمائهم و آرائهم ، و ربما كان من إعجاز القرآن العظيم أن الناس ما زالوا حيارى يتطرفون الكلام في إعجازه ، فمنهم من

يرى الإعجاز في فصاحة كلمته و بلاغة أساليبه ، ومنهم من يراه في روعة كلامه و جماله، ومنهم من يراه في قصصه و أخباره ، ومنهم من يراه في إخباره عن المغيبات والأخبار المستقبلة وما إلى ذلك.(١١)

و مهما يكن من أمر فإن القرآن العظيم هو صورة و فاء الوعد السماوي الذى وعد الله به آدم عليه السلام عند هبوطه إلى الأرض ، و هو هدى كامل يأخذ بأصبع طالبه المخلص ، و يوصله إلى السعادة و النجاح و هو بشرى للبشرية الجمعاء، ينبغي عن الإنسان الحزن على ما مضى ، و يضمن له الامان عن الخوف سيأتى . قال الله تعالى: ﴿اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى ، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(١٢).

وما زال الإنسان محتاجا إلى الهداية والإرشاد ينزلان من السماء من حين إلى حين ، وما زالت عقليته تنمو، وما زلت فطنة تتطور ، وما زال ذكاؤه ينضج حتى أراد الله سبحانه و تعالى أن تشيع رحمته فى العالم يشتمل فضله البر و البحر و أراد أن يخرج البشرية من ظلمات الجهل ، و المعنهجية، و الضلال ، إلى نو ر العلم و الأناة و الهدى، ﴿فبعث في الاميين رسولا منهم، يتلوا عليهم آياته ، يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (١٣) فجله خلاصة الإنسانية ، و عصارة ذهن الأنبياء و الرسل السابقين ، فأعطاه الرسالة الكاملة ، والنبوة الشاملة﴿يايها الناس إنى رسول الله عليكم جميعا﴾(١٤) ﴿وما ارسلنك الا رحمة للعالمين﴾ (١٥) فكتب له شهادة كبرى و أبشربه الإنسانية بشارة عظمى، و حذر به من خالف أ مر أو مال عن طريقه و أولى على الذين اتبعوه فضله العظيم و كرمه العميم ، و جعلهم بغاية لطفه و تكرمه مستحقين له ﴿يأيها النبى إنا أرسلنك شاهدا و مبشرا و نذيرا ، و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا، و بشر المؤمنين بأن لهم من فضلا كبيرا﴾(١٦)

و قدر لنبوته و لرسالته الخلود ، فأيده بالمعجزة الخالدة ، لتظل معها عبر العصور ،و لتبقى بقاء الأعمار و الدهور ترشد المؤمنين المطيعين و تتحدى المنكرين المعاندين ، فيحذب أنظارهم و يلفت أفكارهم لعلهم ينتبهون ، و يرجعون إلى سبيل ربكم فينجحون.

هذه المعجزة الخالدة لسيد الأنام ﷺ ببدع من الرسل ، قال الله تعالى: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل و ما أدري ما يفعل بى ولا بكم .....﴾(١٧) فقد جرت سنة الله سبحانه و تعالى بإرسال المرسل لهداية الناس و تأييدهم بمعجزات تدل على صدقهم و كونهم مبعوثين حقا ، و كان من المفروض أن يكون هذا الدليل خارقا للعادة ، حيث يعجز عامة الناس عن الإتيان بمثله، ولذلك يسمى معجزة : ومن هذه يتم الدليل و يصح التحدى.

و يستنبط من نصوص القرآن الكريم ، قد تقرر عند العلماء بتتبع تورايخ الأنبياء بأن هذا التأييد لدعوة الأنبياء كان من جنس تلك العلوم و الفنون التى وصلت أقوامهم القمة ، فلما ظهر على يد رسول من رسل الله.....من ذلك الجنس لكنه فان كل ما كان من صنع الناس ، تبين بأنه فوق طاقة البشر ، و يعجز عن الإتيان بمثله جميع الناس. و هذا هو الإعجاز ، فيكون خارقا للعادة فإطفاء النار الملتهبة و تصيرها بردا وسلاما ، كان أمرين خارقين للعادة . يقول الدكتور حفنى محمد شرف فى معجزة موسى عليه السلام أنه "حين بعث إلى قومه الذين اشتهروا بالسحر، و ضربوا فيه بسهم و افر يشاء الله أن تكون معجزته من قبيل الغريب العجيب ﴿فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ، و نزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين﴾ (١٨) ثم يقول الدكتور حفنى محمد شرف في معجزة عيسى عليه السلام أنه حين أرسل إلى قوم كانت لهم شهرة في بإذن الله.....شاء عز اسمه

أن يجزى على أيدي عيسى إبراء الأكمه و الأبرص ، و إحياء بإذن الله ، و بعد ما ضرب هذين المثلين ، علق عليهما بقوله: وقد يقال : إن المعجزات قد أتت حقيقة من جنس ما شاع و ذاع و لكنها امتازت بزيادة بالغة و فضيلة تقصر دونها الهمم ، فعصا موسى تلقف ما كانوا يأفكون ، و حكمة عيسى فاقت جميع الحكم حين يحى الموتى بإذن الله.

إذا علمنا هذا أدركنا قيمة النفاسة في معجزة محمد . عليه الصلاة والسلام. و كيف كانت و هي القرآن الكريم حجة على رسالته ، و برهانا على صدق دعوته ، وقد بلغت غاية الفصاحة و نهاية البلاغة بين قول لا يخلون في جملتهم من شاعر فحل أو خطيب مصقع.

و من هنا فقد كان القرآن الكريم جامعا لفنون البلاغة ، حاويا لأطراف البيان و الفصاحة ، محكما في نظمه ، حتى إنك تحسب ألفاظه لجمالها و روعتها منقادة لمعانيه ، فإذا ما تغلغت فيه و جدت معانيه منقادة لألفاظه ، فإذا رجعت البصر مرة و مرة فإنك ستظل متر ددا بين انقياد معانيه لألفاظه ، و انقياد ألفاظه لمعانيه حتى تؤمن أخيرا بأنك تقرا كلاما ليس من كلام البشر.(١٩)

و قد ظهرت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمور كثيرة ، يعجز عن الإتيان بمثلها الناس ، و تعد من بين معجزاته مثل شق القمر ، انفجاراء الماء من بين أصابع يده الكريمة ، والبركة في اللبن ، حيث شرب نفر كثير من قدح و احد واللبن كما كان ، والبركة في الطعام كما حدث خلال أيام غزوة الأحزاب و غيرها كثيرة عديدة ، و هي مروية منقولة في كتب السيرة والخصائص و التاريخ ، لكن جميعها كانت مؤقتة و كانت آثارا مباركة لذات رسول الله ﷺ ، أما المعجزة الحقيقية لرسالته ﷺ فهي القرآن الكريم ، و مما يدل على ذلك أن القرآن

العظيم ما زال طيلة نزوله يصدق رسول الله ﷺ و يحقق دعوته و يتحدى منكره و معانده ، فبدأ التحدى بإتيان الكلام مثله﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ (٢٠) فما استطاعوا أن يأتوا بمثله و أنى لهم هذا ؟ هل يمكن للعبد أن ينهض إلى درجة الربوبية ؟ و هذا القرآن كلام الله العزيز العلام فأنى لعبد من عباده أن يصنع مثل كلامه؟ ولما لم يفهم كثير منهم الحقيقة وما زالوا في عماهم يعمهون، يبهم على سوء فهمهم و فساد عقلهم ، ولفت إلى الحقيقة أذهانهم فقال :﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾(٢١)ففي هذا التنزل توسيع المجال لهم و ترخيص لهم ، وكل هذا ليتبين لهم عجزهم ، و نتيجة لذلك يتضح لهم كون القرآن كلام الله العلي المتعال، وقد تركوا في هذا الترخيص و التوسيع، ولكنهم لم يجدوا ملكة تعينهم سورة من القرآن العظيم حيث عرضت سورة الكوثر للتحدي و هي تشتمل ثلاث آي(٢٢)

ففيه تبكيت للمعاندين و تحذير شديد لهم كما فيه تبشير للنبى الكريم و تثبيت لقلبه المبارك ، قال الله سبحانه وتعالىٰ:﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتو بسورة من مثله واد عوا شهداء كم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا و لن تفعلوا فاتقوالنار التى و قودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾(٢٣)

يقول الدكتور حفنى محمد شرف.....فلما ظهر عجزهم عن الإتيان بمثل أقصر سورة لزمتهم الحجة لزوما و اضحا، و انقطعوا انقطاعا فاضحا و الضمير في قوله تعالىٰ: (مثله) يرجع في كل الآيات إلى المنزل لا إلى المنزل عليه حتى لا يكون هناك تضييق في التحدي و مقتضى التنزل من الكل إلى

العشر، و من العشر إلى الواحدة ، التوسيع فيه و أما أنه لم يعارض ، فلأنه لو عورض لشاع لتوفر الدواعي إلى نقله، وعدم الصارف عنه والعلم بذلك قطعي كسائر القطعيات لا يقدح فيه احتمال أنهم عارضوا ولم ينقل إلينا كما نع كعدم المبالاة وقلة الالتفات و الا شتغال بهمام الأمور، و أقول كما قال الفاضل التفتازاني في شرح المقاصد: أن (رسول الله) ﷺ تحدى بالقرآن الكريم و دعا إلى الإتيان سورة من مثله مصاقع البلغاء والفصحاء من العرب و غيرهم مع كثرتهم كثرة حصى البطحاء و شهرتهم بغاية العصبية و الحمية الجاهلية و تهالكهم على المبالاة و المباراةوركوب الشطط في هذا الباب فعجزوا حتى اثروا المقارعة على المعارضة بذلوا المهج و الأرواح دو ن المدافعة فلو قدروا على المعارضة لعارضوا، و لو عارضوا لنقل إلينا لتوفر الدواعي و عدم الصارف.(٢٤)

فمعجزة رسول الله ﷺ هي القرآن الحكيم و هو يدعوا الناس إلى سبيل ربهم و يبشر متبعيه و يعمن لهم الصلاح و النجاح و السعادة و يحذر معانديه و يخوفهم من العذاب و سوء العاقبة فبكلامو قفيه يريد هداية الناس أجمعين، و يهدف إلى فوزهم و نجاتهم و لذلك يحمل بين دفتيه علوم الأولين و الآخرين.

قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي: "و قد استخرج بعض علمائنا من القرآن ما يشير إلى مستحدثات الاختراع ما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية و بسطوا كل ذلك بسطا.....على أن هذا و مثله إنما يكون فيه إشارة و لمحة و لعل متحققا بهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن و أحكم النظر فيه، وكان بحيث لاتعوزه أداة الفهم ولا يلتوي عليه أمر من أمره.....لا ستخرج منه إشارات كثيرة تؤمي إلى حقائق المعلوم و إن لم تبسط من أنباء ها ، و تدل عليها و إن لم تسمها وأسمائها بلى و إن في هذه العلوم الحديثة على اختلافها لعونا على تفسير بعض

معاني القرآن و الكشف عن حقائقه و إن فيها لجاما و دربة عن يتعاطى ذلك يحكم بها من الصواب ناحية ، و يحرز من الرأي جانبا و هى تفتق لها الذهن و تؤاتيه بالمعرفة الصحيحة على ما يأخذ فيه و تخرج له البرهان وإن كان في طبقات الأرض و تنزل عليه الحجة و إن كان فى طباق السماء.

و لا جرم أن هذه العلوم ستدفع بعد تمحيصها و اتصال آثارها الصحيحة بالنفوس الإنسانية إلى غاية و احدة و هي تحقيق الإسلام ، و أنه الحق الذى لا مرية فيه و أنه فطرة الله التى فطر الناس عليها، و أنه لذلك هو الدين الطبيعي للإنسانية و سيكون العقل الإنساني آخر نبى في الارض ، لأن الذى جاء بالقرآن كان آخر الأنبياء من الناس ، إذ جائهم بهذا الذى الكامل ولا حاجة بالكمال الإنساني لغير العقول ينبه إليه بعضها بعضلا ، ومن لا يخب داعي الله فليس بمعجز في الأرض.

و قد أشار القرآن إلى نشأة هذه العلوم و إلى تمحيصها و غايتها على ما وصفناه .....و ذلك قوله تعالىٰ: ﴿سنريهم آياتنا في الأفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد﴾(٢٥)و لو جمعت أنواع العلوم الإنسانية كلها ما خرجت في معانيها من قوله تعالىٰ ﴿في الآفاق و في أنفسهم﴾هذه آفاق و هذه آفاق أخرى ، فإن لم يكن هذا التعبير من الإعجاز الظاهر بداهة فليس يصح في الإفهام شئ.

ذلك و إن من أدلة إعجاز هذاالكتاب الكريم أن يخطئ الناس في بعض تفسيره على اخترق العصور ، لضعف و سائلهم العلمية ، و لقصر حبالهم أن تعلق بأطراف السماوات أو تحيط بالأرض ، ثم تصيب الطبيعة نفسها في كشف معانيه فكلما تقدم النظر و جمعت العلوم ، و نازعت إلى الكشف والاختراع ،واستكملت آلات البحث ، ظهرت حقائقه الطبيعة ناصعة حتى كأنه غاية لا يزال

عقل الإنسان يقطع إليها حتى كأن تلك الالآت حينما توجه لآيات السماء و الأرض توجه لآيات القرآن أيضا﴿والله غالب على.....ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(٢٦) ذلك هو الأمر في العلوم الأولى ثم الله ينشئ النشأة الآخرة.(٢٧)

هذا هو القرآن ، و هو معجزة خاتم الأنبياء ﷺ الذى به تم قصر النبوة و كمل الدين الإلهى و تمت نعمة الله على العباد، فشملت رحمته جميع الناس ، فكان لا بد للمعجزة التى تؤتىٰ لتأبيد نبوته و رسالته أن تكون مختلفة تماما من التي أعطيها الأنبياء السابقون ، قال الشيخ محمد عبده : و كان السائد في الديانات السابقة أن تكون الايات الدالة عى صدق الأنبياء حسية لأنها كانت لا تخاطب العقول لأن العقول لم تبلغ بعد درجة إلا يما تدركه حواسه تمام الإدراك ، فالنار تتحول إلى برد وسلام ، والعصا تنقب ثعبانا، والجبل يرتفع فوق الرؤوس ثم يعود إلى مكانه، و البحر ينفلق إلى شقين كل شق منهما كالطود العظيم ، والصخرة تنشق فتخرج منها ناقة ثمود ، و عيسى يبرى الأكمه و الأبرص و الأعمى و يحي الموتى بإذن الله، و هكذا كانت تتوالى المعجزات الحسية المادية لتأييد الرسالات بد لا من أن تتوالى الأدلة العقلية و البراهين المنطقية ، والشواهد العلمية لأن الله ادخرها إلى أن يبلغ العقل البشري النضج والتمام فتهبط عليه رسالة الإسلام.

و قد جرت على يد محمد ﷺ و على آله ، بعض المعجزات المادية ليعتبر بها من تخلف عقله عن إدراك المعنويات ، ولكن معجزة آخر الأنبياء عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام كانت معجزة عقلية خالدة ، ليست محدودة بزمان ولا مكان ، و ليست مقصورة على من يشاهدون المعجزات المادية و حدهم في فترة محدودة ، وهم قلة محدودة و هم غير حجة على من لم يشاهد أمثال هذه

المعجزات.

أما معجزة الإسلام المعنوية الخالدة التي يعرضها الله على جميع العقول في جميع العصور فهي "القرآن الكريم" و هو معجزة قائمة على النظر العقلي، و التدبر الفكري و الاستدلال العلمي، مهما اختلفت الصور و تعددت الغايات.(٢٨)

فالقرآن العظيم هو معجزة إمام الأنبياء و ختم المرسلين و لما كانت رسالته قائمة عليها وهي خالدة سرمدية مستمرة إلى أن يرث الله الأرض و ما فيها، كان لا بد لمعجزتها أن تبقى و تدوم عبر العصور، فلذلك ضمن الله سبحانه و تعالىٰ محافظة القرآن الكريم و صيانته فقال عز من قائل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون﴾(٢٩)

و من لطائف القرآن العظيم و أمارات إعجازه أنه يعجب الناس غاية الإعجاب، فما زال الناس منذ نزوله يتعجبون من عجيب أثره، يتحيرون لروعته و جماله، فمن مومن مطيع محب له، و من معاند معاد مسحور بأثره العميق منذ بداية نزوله ما زال الناس يقفون أمامه حيارى مبهوتين، فالذين يعترفون بإعجازه يعتبرونه معجزة عظمى لخاتم النبيين ﷺ لا يكادون يتفقون على قول أو رأي يصفون به القرآن العظيم، و لعل هذا هو إعجازه، فكل واحد يحس فيه بما هو فوق طاقة البشر، أو يحد فيه ما هو خارق للعادة، فمنهم من يرى إعجازه في كلماته و منهم من يقول: إن إعجازه في أساليبه، و يقول آخر: إن إعجازه في بلاغته، و أرجع كثير منهم إعجازه قصصه و أخباره، في حين ذهب عدد من العلماء إلى أن إعجازه في علومه و إخباره. عن الزمن السابق كان أو عما هو لا حق. و كذلك كان الإخبار عن الأعيان الظاهرة أو عن تلك المشاعر و العواطف التي هي سرائر

النفس لا يعمها إلا الله العليم الخبير.

و الحقيقة أن القرآن العظيم يشمل جميع هذه النواحي والجوانب، و فوق ذلك كثيرا، ولا تزال كثرة كاثرة من ظواهر الإعجاز القرآني مخفية غيرظاهرة حيث لم تصل إليها يد التحقيق ، ولم يلتفت إليها نظر المهتمين بهذا الشأن، كلما يصل العالم المجتهد المحقق إلى نتيجة صائبة أو فكرة ثاقبة ، أو يتبين له خلال دراسته و تحقيقه الحق، و تتراءى له الحقيقة يجد القرآن العظيم قد أشار إليها قبل قرون مع أن القرآن الكريم ليس بكتاب العلوم.

ولم ينزل ليعلم الناس الفنون ، إنه رسالة الله إلى أهل الأرض، ليعدوا في حياتهم هذه، و تلك في الآخرة ، فالفوز و النجاح مضمنان في العمل به ، و في الامتثال و الانتهاء عما نهى عنه.

ولما كان القرآن العظيم أعظم معجزة لرسول الله ﷺ فإن أعظم إعجازه خلق أمة جديدة من تلك الأمة العربية التي كانت تعيش عيشة بدوية متأخرة منعزلة عن أهم الجتمعات البشرية آنذك ، و لم تكن تعد من عير ولا نفير لكنها عند ما وقفت أمام نصوص القرآن تستنطقها و تستخرج جواهر معانيها ، و تستنبط لآلى مفاهيما معجبة بها محبة لها ، أخذها القرآن الكريم بإصبعها و أو صلها إلى قمة العلا و لفت فيها روحا جديدة ، وألهمها العزة و المنعة و الوقار، فما شت في التأريخ عزيزة النفس، منيعة الجانب، قوية الروح ، جليلية الشان، فبرز فيها أئمة هداة و نشا فيها علماء أعلام و انتجت الامة قوادا عظاما و رجالا بارزين في كل مجال من مجالات الحياة.

و كل هذا لأجل القرآن العظيم فإنه كان أخذ بالبابهم و أسر عقولهم و سحر نفوسهم حتى سادهم سيادة كاملة شاملة ، فيه يستمرون، و معه كانوا يقفون

فجعلوه دستور حياتهم و إما م أفكارهم و هادِيهم و مرشدهم و هذا هو أجل أنواع الإعجاز القرآن العظيم .

إن القرآن الحكيم عند ما يتناول مو ضوعا أو يشرح أمرا فإنما يجعل ذلك بأسلوب لا غاية وراء ه، ولا بلاغة فوقه وإن كانت قصة أو حكاية و اقتضتا الأسلوب القصصي ، فلا تعيب الحقيقة في سرد القصة ، و إذا كان الموضوع حكما من الأحكام لا يفوته جمال الأسلوب و روعة البيان و سحر الكلام، "فهذا هو القرآن الكريم، تراه في فسحة قصصه و أخباره لا ينسى حق العقل من حكمة وعبرة ، وتراه في معمة براهينه و أحكامه لا ينسى حظ القلب من تشويق و ترقيق و تحذير و تنضير و تهويل و تعجيب و تبكيت و تأنيث، وصدق الله العظيم إذا يقول في و صفه: ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلود هم و قلوبهم إلى ذكر الله ﴾(٣٠) الآية(٣١)

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده والإمام الترمذى و الدارمي ، كلاهما في سنيهما و الطبرانى في المعجم الكبير من علي بن أبى طالب رضى الله تعالىٰ عنه قال:(سمعت رسول الله ﷺ يقول : أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد ! إن أمتك مختلفة بعدك ، قال : فقلت له : فأين المخرج يا جبريل ؟ قال : فقال: كتاب الله تعالىٰ ، به يقصم الله كل جبار ، من اعتصم به نجا ، و من تركه هلك ، مرتين ، قول فصل و ليس بالهزل ، لا تختلفه الألسن ، ولا تفنى أعاجيبه ، فيه نبأ ما كان قبلكم وفصل ما بينكم ، و خبر ما هو كائن بعدكم).(٣٢)

و أخرج الإمام الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالىٰ عنه عن النبى ﷺ قال: (إن هذا القرآن مأدبة الله فأقبلو ا ما دبة ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله و النور المبين و الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به و

نجاة لمن تبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد.....الحديث)صححه المنذري. (٣٣)

هذه هي معجزة النبى الخاتم الخالدة لرسالته الخالدة ، فما زالت إلى يومنا هذا منهلا صافيا طريا، و ستظل كذلك أن تقوم الساعة .

يقول الأستاذ حسن ضياء الدين كمتر: جليلة كثيرة هي مزايا القرآن، و ملاكها أنه هو الرسالة الإلهية و معجزاتها الخالد ة ، و هو الدعوة و براهينها الدامغة، أجل! إنه الشمس و ضيائها ، لا غرو !فقد اتحد فيه الدليل و المدلول عليه أقوى من اتحاد الروح بالجسد ، فالقرآن هو نفسه الوحى الإ لهي المنزل ، و هو الخارق المعجز للخلائق الدال على إلهية مصدره فشاهد صدقه في عينه لا ينفك عنه مهما توالت العصور و انقضت الدهور !يقيم للأجيال المتعاقبة براهين دامغة لا تجد الألباب القويمة و الأذواق الرفيعة و الفطر البريئة سبيلا إلا سبيل الإيمان به والتسليم بنبوته مبلغة محمد ﷺ.(٣٤)

و قال: "و أنت ترى أن الأمّة الإسلامية ما تزال في تاريخها القديم والحديث ترقى معارج المجد بقدر علمها بكتاب الله المجيد و تخط عنها بإهماله و الإعراض عنه لذا فإن المسئولية عليک و على الأمة جمعاء مسئولية كبرى لا يقبل فيها عذر لمعتذر، كيف و قد ظهرت لها الحقيقة ظهور الشمس في رابعة النهار!؟ و قد ذكرنا الله بهذه المسئولية بقوله جل شأنه(٣٥)

﴿و إنه لذكرک و لقومک و سوف تسألون﴾(٣٦)

الهوامش

١ـ معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص: ٢٣٢، مطبعة الإعلام الإسلامي طهران. ايران/١٤٠٤هـ

٢ـ تهذيب اللغة ج ١، ص: ٣٤٠، و انظر لسان العرب (ع ج ز) ج ٥، ص: ٣٦٩ـ٣٧٠

٣ـ ديوان الأعشى : تحقيق د/محمد حسين ، والبيت في اللسان (عجز، أبق)

٤ـ القاموس المحيط (عجز) ج ٢، ص:١٨٨

٥ـ ترجمته في إخبار العلماء باخبار الحكماء

٦ـ فكرة إعجاز القرآن لنعيم الحمصي ، ص ٤٠ و ما بعد ، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت

٧ـ طبع ضمن "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن "ط، دار المعارف بمصر

٨ـ طبع ضمن "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"

٩ـ طبع بدار المعارف بمصر ، بتحقيق السيد أحمد صقر

١٠ـ ينظر في ذلك "إعجاز القرآن في آثار الدارسين "لعبد الكريم الخطيب و فكرة إعجاز القرآن لنعيم الحمصي ، ولإعجاز البياني للقرآن الكريم للدكتور عائشة عبدالرحمن بنت الشاطى، ط ، دار المعارف بمصر

١١ـ قد بسط الكلام في ذلك الإمام السيوطى رحمه الله تعالىٰ فى "معترك الأقران فى إعجاز القرآن، تحقيق على محمد البجاوى ط ، دار الفكر بمصر

١٢ـ البقرة :٣٨ ١٣ـ آل عمران:١٦٤

١٤ـ الاعراف : ١٥٨ ١٥ـ الأنبياء: ١٠٧

١٦ـ الاحزاب:٨٥ ١٧ـ الاحقاف:٩

١٨ـ الشعراء:٣٣ـ٣٢

١٩ـ إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق، للدكتور حفني محمد شرف. المجلى الأعلى للشؤون الإسلامية الجمهورية العربية المتحدة ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

٢٠ـ الطور : ٣٤ ٢١ـ هود:١٣

٢٢ـ و في حد الكلام العادي يمكن لنا أن نقول : إنها تشتمل على ثلاث جمل ، و هي أقصر صورة للكلام العادي (عير اصطلاحى) إذ صيغة الجمع في اللغة العربية تبدأ من ثلاثة إلى ما فوقها

٢٣ـ البقرة:٢٣ـ٢٤

٢٤ـ إعجاز القرآن البيانى "بين النظرية و التطبيق ص٧ـ٨، و أنظر شرح المقاصد للتفتازانى

٢٥ـ فصلت:٥٣ ٢٦ـ يوسف:٢١

٢٧ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص :١٢٨ـ١٢٩، دار الكتاب العربى. بيروت،لبنان ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م (الطبعة التاسعة)

٢٨ـ من محاضرة ألقاها الأستاذ الشيخ محمد عبده ، ضمن المحاضرات العامة للموسم المثقافى الثانى. الدورة الأولى ، ص ٨٠، مطبعة الأزهر ١٩٦٠

٢٩ـ الحجر:٩ ٣٠ـ الزمر: ٣٣

٣١ـ إعجاز القرآن البيانى، ٥٣

٣٢ـ الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام احمد بن حنبل الشيبانى ، لأحمد عبد الرحمن البناء، ج ٨، ص٣ـ٢، ط ، دار الحديث بالقاهرة

٣٣ـ الترغيب و الترهيب للمنذرى ص ٣٥٤

٣٤ـ المعجزة الخالدة، ص ٩ـ١٠، دار ابن حزم ، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

٣٥ـ المعجزة الخالدة، ٣٩١ ٣٦ـ سورة الزخرف:٤٤